المطلب الرابع

طريقة الصحابة رضي الله عنهم في فهم العقيدة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد .

ففد تحدثنا في المطلب السابق عن قضية العلاقة بين العقل والنقل وأيهما يقدم على الآخر؟ ولماذا؟ وعلمنا أن العقل أصل في العلم بالنقل وليس أصلا في ثبوته كما ادعى المتكلمون، وبينا مثلا لذلك وهو مثل العامي المستفتى مع الدال على المفتي.

ثم علمنا أن كثيرا ممن قدم العقل على النقل اعترف بحيرته وضلاله، وأن من أعرض عن القرآن وعارضه فجهله جهل بسيط أو جهل مركب، وتناول الحديث الرد على من وصف السلف بأنهم أصحاب جمود عقلي؟ وبينا متى يقدم العقل على النقل عندهم؟

كما علمنا أن تقديم العقل على النقل في باب الأمر يؤدي إلى بدع العبادات، وأن بدع الاعتقادات سببها تقديم العقل على النقل في باب الأخبار والغيبيات.

ثم تحدثنا عن المقصود بمصطلح السلف والخلف، وكيف ذم السلف الصالح المبتدعة وعلماء الكلام؟ وبينا أن طريقة الخلف ليست أسلم ولا

أعلم ولا أحكم من طريقة السلف.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله الحديث عن طريقة الصحابة والتابعين في فهمهم للعقيدة الإسلامية بفطرتهم النقية، دون عقليات كلامية أو تعقيدات فلسفية، من خلال المحاور التالية:

• مراتب الناس في تصديق الخبر.

الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، ويتطلب التصديق، والأمر هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب، ويتطلب التنفيذ.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابنِ عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قَال: (لَمَّا نَزَلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ الشعراء:٢١٤، صَعِد النَّبي ﷺ عَلى الصَّفَا فَجعَل ينَادي: يا بنِي فِهْرٍ، يا بني عَدي لبطُون قُرَيش حَتى اجْتمَعُوا، فَجعَل الرَّجُل إذا لَمْ يستَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَل رَسُولا لينْظُرَ مَا هُوَ، فَجاءَ أَبو لَهَب وقُرَيشٌ، فقَال: أَرأَيتكُمْ لوْ أَخبرْتكُمْ أَنَّ خَيلا بالوَادي تريد أَنْ تغِيرَ عَليكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدقِي؟ قَالوا: نَعَمْ مَا جَرَّبنَا عَليكَ إلا صِدقًا، قَال: فَإِنِّي نَذيرٌ لكُمْ بينَ يدي عَذاب شَديد، فقَال أَبو لَهَب: تبا لكَ سَائِرَ اليوْمِ أَلِهَذا جَمَعْتنَا؟ فنَزَلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ المسد:١/٢) [1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء ٤/١٧٨٧ (٤٤٩٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قول الله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين ١/١٩٣ (٢٠٨).

والشاهد من الحديث أن الخبر هو ما يتطلب التصديق، وهو واضح من قوله ﷺ: أَرَأَيتكُمْ لوْ أَخبَرْتكُمْ. وقولهم: مَا جَرَّبنَا عَليكَ إِلا صِدقًا، وفي رواية أخرى عند البخاري: قالوا ما جربنا عليك كذبا [١].

ولما أخبر يوسف عليه السلام بمراودة امرأة العزيز له، تطلب الخبر التصديق أو التكذيب بإقامة البرهان عليه، فقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف:٢٥/٢٩.

وكذلك الهدهد لما ذكر خبره اليقيني لنبي الله سليمان عليه السلام، طلب سليمان التحقق من كونه صادقا أو كاذبا من خلال الدليل والبرهان.

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ

---

(١) البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة المسد ٤/١٩٠٢ (٤٦٨٧).

ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ النمل:٢٢/٢٦.

وقد رد عليه سليمان عليه السلام بما يدل على التحقق من خبره، حيث أرسله إليهم وأمره أن ينتظر سماع جوابهم ليخبره به، فأخبر الله عز وجل عن صدق الهدهد بذكر جوابهم مباشرة، فقال: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل:٢٢/٣١.

قال ابن هشام في بيان نوعي الكلام: (التحقيق أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء فقط، وأن الطلب من أقسام الإنشاء، وأن مدلول "قم" حاصل عند التلفظ به، لا يتأخر عنه، وإنما يتأخر عنه الامتثال، وهو خارج عن مدلول اللفظ) [(١)].

وقال السيوطي: (الفرق بين الخبر والإنشاء، أن الخبر هو الدال على أن مدلوله قد وقع قبل صدوره، أو يقع بعد صدوره، والإنشاء هو اللفظ الدال على أن مدلوله حصل مع آخر حرف منه) [(٢)].

والناس في مراتب التصديق بخبر الله ورسوله ﷺ على ستة أنواع، ثلاثة منها لغير المسلمين، وثلاثة للمسلمين على تنوع أهل اليقين. فأما الثلاثة التي لغير المسلمين فهي مرتبة الوهم، ثم مرتبة الشك، ثم مرتبة

---

(١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لعبد الله بن هشام ص٤٠.

(٢) شرح السيوطي علي سنن النسائي، كتاب الافتتاح ١٣١/٢.

الظن. وأما الثلاثة التي للمسلمين فلا بد فيها من اليقين كشرط لازم من شروط لا إله إلا الله، وهي مرتبة علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، ولمزيد من البيان يمكن ترتيب تلك المراتب على النحو التالي:

- **أولا: مرتبة الوهم .**

إذا أخبرك أحد لأول مرة أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل يوم، فإما أن تصدقه وإما أن تكذبه، فإن كان تكذيب القلب لهذا الخبر أكبر من التصديق، سمي ذلك عند علماء الأصول وهما.

كالذي يقول مثلا: كيف أن الأرض تدور؟ وليس هذا بمأثور ولا مذكور؟ ونحن في أماكننا لا نقع ولا ندور؟ أنا أستبعد مثل هذا الخبر.

فحقيقة الوهم ومقتضاه أن يكون عدم ثبات الأمر في القلب أرجح من ثباته. أو كما عرفه صاحب القاموس فقال: (بأنه مَرْجوحُ طَرَفَي المُترَدد فيه) [١].

والوهم يشبه النسيان إلى حد كبير، ولذلك سميت سجدة السهو بسجدة الوهم، كما ورد في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مالك ﵁: (أن رسول الله ﷺ، صَلي بهِمُ الظُّهْرَ، فَقَامَ فِي الرَّكْعَتينِ الأُوليينِ ولمْ يجْلسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حتى إذا قَضَي الصَّلاةَ، وَانْتظَرَ النَّاسُ تسْليمَهُ، كَبرَ وَهُوَ جَالسٌ، فَسَجَد سجدتي الوهم قَبل أَنْ يسَلمَ،

(١) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ص٦٨ نشر دار الفكر المعاصر بيروت، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٥٠٧.

ثمَّ سَلمَ) [١].

والمقصود هنا سجدتا السهو عند انعدام اليقين التثبت من الأمر، فالوهم أن يكون عدم ثبات الأمر في القلب أكبر من ثباته، وتكذيب الخبر أكبر في القلب من تصديقه.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيما محسوسا، وعقابا محسوسا، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل) [٢].

قال الآمدي: (يشتد وهم بعض الناس بحيث يقضي به على العقل، وذلك كمن ينفر عن المبيت في بيت فيه ميت لتوهمه أنه يتحرك أو يقوم، وان كان عقله يقضي بانتفاء ذلك) [٣].

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب من لم ير التشهد الأول واجبا ١/٢٨٥ (٧٩٥)، وأما لفظ "سجدتي الوهم" فورد عند الدارمي في كتاب الصلاة، باب إذا كان في الصلاة نقصان ١/٤٢١ (١٥٠٠) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص٥٩٥.

(٣) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي ص١٨٦، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

- **ثانيا: مرتبة الشك.**

أما لو تساوت نسبة التكذيب في القلب مع نسبة التصديق، واعتدل الترجيح بينهما في ثبوت الخبر، سمي ذلك شكا، كما ورد عند أبي داود من حديث أَبي هُرَيرَةَ ﷺ أن رسول اللهِ ﷺ قال: (مَا حَدثكُمْ أَهْلِ الكِتاب فَلا تصَدقُوهُمْ وَلا تكَذبوهُمْ، وَقُولوا: آمَنَّا باللهِ وَرُسُلهِ، فَإِنْ كَانَ باطِلا لمْ تصَدقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لمْ تكَذبوه) [1].

وقد روى النسائي وصححه الشيخ الألباني عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إِذا شَكّ أَحَدكُمْ فِي صَلاتهِ، فَليلغِ الشَّكَّ وَليبنِ على اليقِينِ، فَإِذا اسْتيقَنَ بالتمَامِ، فَليسْجُد سَجْدتين وَهُوَ قَاعِد، فَإِنْ كَانَ صَلى خَمْسًا شَفَعَتا لهُ صَلاتهُ، وَإِنْ صَلى أَرْبعًا كَانَتا ترْغِيمًا للشَّيطَانِ) [2].

وعند الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذا كَانَ أَحَدكُمْ فِي المَسْجِد، فَوَجَد رِيحًا بينَ

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود في كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ٣١٨/٣ (٣٦٤٤)، وأحمد في المسند ١٣٦/٤ (١٧٢٦٤) عن أبي نملة الأنصاري، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) رواه النسائي في كتاب صفة الصلاة، باب إتمام المصلي على ما ذكر إذا شك ٣٦٨/١ (١١٦١) (١١٦٢)، وأصل الحديث عند مسلم في كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له ٤٠٠/١ (٥٧١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٣٤/٢ (٤١١)، وانظر صحيح الجامع (٦٣٢).

أَليتيهِ فَلا يخْرُجْ حتى يسْمَعَ صَوْتا، أَوْ يجِد رِيحًا) [١].

قال عبد الله بن المبارك في معنى الحديث: (إذا شَكَّ فِي الحَدث، فَإِنَّهُ لا يجِب عَليهِ الوُضُوءُ حتى يستيقِنَ استيقَانًا يقْدرُ أَنْ يحْلفَ عَليهِ) [٢].

والشك يحدث الريبة في القلب كما قال تعالى عن مؤمن آل فرعون وهو ينصح قومه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ غافر:٣٤.

وقد ذكر الله تعالى أن قوم صالح عليه السلام لم يصدقوه وكانوا في شك وريبة مما أخبرهم به عن ربهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ هود:٦٢/٦٣.

وقال تعالى عن شك النصارى فيما هم عليه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ النساء:١٥٧.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء من الريح ١/١٠٩(٧٥)، وصححه الألباني، وانظر صحيح الجامع (٧٥١).

(٢) ذكر الترمذي رحمه الله تعالى في سننه هذا القول عن ابن المبارك بعد ذكر الحديث السابق، انظر سنن الترمذي ١/١٠٩ (٧٥).

والآية صريحة في الدلالة على أن اليقين ينفي الشك والظن، وأن طوائف النصارى في العالم ليسوا على يقين من قصة الصلب والقتل التي زعموها في عيسى ﵇، وإنما هم في مرتبة الشك أو مرتبة الظن.

والمقصود هنا أن القرآن دل على أن الشك هو أن يكون عدم ثبوت الأمر في القلب مستويا مع ثبوته.

- **ثالثا: مرتبة الظن .**

أما الظن فهو زيادة التصديق في القلب على التكذيب، حتى لو امتلأ القلب بالتصديق وبقي فيه من التكذيب شيء يسير؛ فإنه يسمي ظنا، ولا يبلغ المرء مع الظن حد اليقين اللازم للإيمان.

وقد ذكر الله ﷻ حال المشركين والكافرين واعتقادهم في يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الجاثية:٣٢.

هؤلاء ذكروا في وصفهم لأنفسهم وهم في الدنيا أن تكذيبهم بذلك اليوم أمر وارد على قلوبهم، لكنهم لما انتقلوا إلى ربهم، ورأوا العذاب بأبصارهم، اعترفوا بذنبهم، وندموا على ظنهم، وتمنوا العودة إلى الدنيا ليبلغوا درجة اليقين اللازمة لكلمة لا إله إلا الله، والمنجية من عذاب الله، فقال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ السجدة:١٢.

وقد ورد في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير ﵁ أنه

سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ يوسف:١١٠ فقال: (قُلت: يا أم المؤمنين أَكُذِبوا أَمْ كُذِّبوا؟ قَالت: كُذِّبوا ، قُلت: فَقَد اسْتيقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذبوهُمْ، فَمَا هُوَ بالظَّنِّ، قَالت: أَجَل لعَمْري، لقَد اسْتيقَنُوا بذلكَ، فَقُلت لهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَد كُذِبوا؟ ـ يعني: هل ظنوا أن الله خذلهم ولم ينصرهم على أعدائهم ـ قَالت: مَعَاذ الله، لَمْ تكُنِ الرُّسُل تظُنُّ ذلكَ برَبهَا، قُلت: فَمَا هَذهِ الآيةُ؟ قَالت: هُمْ أَتباعُ الرُّسُل الذينَ آمَنُوا برَبهِمْ وَصَدقُوهُمْ، فَطَال عَليهمُ البلاءُ، وَاسْتأْخرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ، حتى إذا اسْتيأَسَ الرُّسُل مِمَّنْ كَذبهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّت الرُّسُل أَنَّ أَتباعَهُمْ قَد كَذَّبوهُمْ جَاءَهُمْ نَصرُ الله عِنْد ذلكَ) [(١)] .

وقد عرف الجرجاني الظن بقوله: (الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن أحد طرفي الشك، بصفة الرجحان) [(٢)].

وقد يطلق الظن على اليقين في بعض مواطن القرآن على اعتبار أن التصديق والتثبت من الحقيقة يزداد شيئا فشيئا، وفي المقابل يقل التكذيب أيضا شيئا فشيئا حتى يصل التثبت إلى منتهاه، فيمتلأ القلب تصديقا بوقوع الحقيقة فيكون عند ذلك يقينا، وإن كان ذلك لا ينفع الكافر

---

(١) رواه البخاري في التفسير، باب تفسير سورة يوسف ٤/١٧٣١ (٤٤١٨).

(٢) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ١/١٨٧ (٩٣٤) نشر دار الكتاب العربي بيروت، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤٩٢/١) نشر دار الفكر.

عند موته، كما ورد في قول الله تعالى عن المكذبين: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ القيامة:٢٦/٣٥.

ولذلك فإن اليقين يرد على معنى الموت على اعتبار أن التثبت من حقيقته كائن في جميع القلوب دون شك فيه، وإن تغافل الناس عن تذكره والاستعداد لمواجهته، كقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ الحجر:٩٩. فاليقين هنا هو الموت.

روى البخاري عن أم العلاء رضي الله عنها وهي امرأة من الأنصار أنها قالت في عثمان بن مظعون ﷺ حين موته: (رَحْمَةُ اللهِ عَليكَ أَبا السَّائِب، فَشَهَادتي عَليكَ، لقَد أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَال النَّبيﷺ: وَمَا يدريكِ أَنَّ اللهَ قَد أَكْرَمَهُ، فَقُلت: بأَبي أَنْت يا رَسُول اللهِ فَمَنْ يكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَال: أَمَّا هُوَ فَقَد جَاءَهُ اليقِينُ. وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو لهُ الخَيرَ. وَاللهِ مَا أَدري وَأَنَا رَسُول اللهِ مَا يفعَل بي، قَالت: فَوَ اللهِ لا أُزَكِّي أَحَدا بعْدهُ أَبدا) [١].

- **رابعا: مرتبة علم اليقين.**

اليقين ينفي الوهم والشك والظن، فإذا صدقت بقلبك تصديقا جازما كاملا، لا مجال للتكذيب فيه، فإن ذلك يسمى يقينا، وهو

---

(١) البخاري كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات ٢/٩٥٤ (٢٠٤١) .

المسمى في النصوص القرآنية والنبوية بعلم اليقين كما في قوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾ التكاثر:٥/٦.

وعلم اليقين شرط من شروط لا إله إلا الله. فإذا أخبرك الله عن شيء، فلن تدخل في الإسلام إلا بهذا اليقين، فتصدق بخبر الله ورسوله ﷺ تصديقا كاملا، يمحو التكذيب بدرجاته المختلفة من القلب محوا شاملا. قال عَبد الله بنَ رَوَاحَةَ رضي الله عنه:

وَفِينَا رَسُول الله يتلو كِتَابَهُ : إِذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدي بعْد العَمى فَقُلوبنَا : بهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَال وَاقِعُ
يبيت يجَافِي جَنْبهُ عَنْ فِرَاشِهِ : إِذا اسْتثقَلت بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ [(١)].

والمسلم لا يكون مسلما إلا بعلم اليقين، ولا يخرج عن اليقين، ولا يمكن أن ينزل إلى درجة الظن، أو الشك، أو الوهم؛ لأنه إن اتصف بشيء مما ينافي اليقين، انتفى شرط من شروط لا إله إلا الله.

وربما يضعف نور اليقين في قلب المسلم، وربما يسكن اليقين ويتمكن فيبصر حقائق الأمور بذلك النور. ومن هنا كان تصنيف اليقين في القلب على ثلاث درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق

(١) البخاري في التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ١/٣٨٧ (١١٠٤).

اليقين، فالأولى كعلمك بوجود العسل، وعين اليقين كرؤيتك له، وحق اليقين كشربك منه:

وعلم اليقين ورد في سورة التكاثر في قوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾ التكاثر: ١/٥.

والتكاثر هو جمع متاع الدنيا، حتى زُرْتمْ المَقَابر تنبيها على أن الزائر لابد أن ينتقل عن مزاره، فهو تنبيه على الموت والبعث، ثم بين سبحانه أن الناس سيعلمون سيعلمون، إما باختبار أو اضطرار. فعلم اليقين هو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حقائق الأمور بنفي الوهم والشك والظن، فلا يماري في صحتها، ولا يرتاب في ثبوتها، كعلم اليقين بالجنة والنار، وتيقنه أن الجنة دار المتقين، وفيها خلود المؤمنين، وأن النار دار المكذبين، وفيها خلود الكافرين والمشركين، وأن الرسل أخبروا عنها بلاغا عن ربهم، وأنهم بينوا للناس أمرها، فهذه الدرجة تسمى درجة علم اليقين.

- **خامسا: مرتبة عين اليقين.**

أما الدرجة الثانية فهي درجة عين اليقين، وهي درجة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ التكاثر: ٧، وبين هذه الدرجة والتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة، فاليقين للسمع، وعين اليقين للبصر، وليس الخبر كالمعاينة .

لقد سأل الخليل إبراهيم ﷺ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؟ ليحصل له مع مرتبة علم اليقين عين اليقين وحق اليقين، فكان سؤال إبراهيم ﷺ زيادة لنفسه، وطمأنينة لحبه في قلبه، فيسكن القلب عند المعاينة بكمال قربه، ويوقن عند استجابة الحق له بكمال حبه في قلبه، فمن علامات المحبة الرغبة في النظر للمحبوب، وكذلك النظر في كمال أفعاله وجمالها، فكانت المحبة باعثا لموسى ﷺ في طلب رؤية الله، وكانت الخلة باعثا لإبراهيم ﷺ في طلبه من ربه أن يريه كيف يحي الموتى؟

قال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ الأعراف:١٤٣.

وقال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة:٢٦٠.

ومن وصل إلى هذا اليقين استلان ما يستوعره المترفون، وأنس مما يستوحش منه الجاهلون، ومن لم يثبت قدم يقينه على هذه الدرجة فهو ضعيف اليقين.

وعلامة اليقين انشراح الصدر بذكر الله، وطمأنينة القلب لأمر الله،

والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت وظلمة القبور [١].

وتلك الحالة التي كانت تحدث للصحابة الأخيار ﷺ إذا ذكرهم النبي ﷺ بالجنة أو النار، فقد روى الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث أَبي عُثْمَان النَّهْدي عَنْ حنظله الأسَيِّدي ﷺ أنه قَال: (لقِيِني أَبو بكْرٍ الصديق فقَال: كَيفَ أَنْت يا حَنْظَلةُ؟ قُلت: نَافَقَ حنظله. قَال سُبحَانَ الله مَا تقُول؟ قُلت: نَافَقَ حَنْظَلةُ يا أبا بكر. نَكُونُ عِنْد رَسُول الله ﷺ يذكِّرُنَا بالنَّارِ وَالجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رَأْي عَينٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاد وَالضَّيعَات، فَنَسِينَا كَثيرًا. قَال أَبو بكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لنَلقَي مِثل هَذا. فَانْطَلقْت أَنَا وَأَبو بكْرٍ حتى دخَلنَا على رَسُول الله ﷺ. قُلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا رَسُول الله. فقَال رَسُول الله ﷺ: وَمَا ذاكَ؟ قُلت: يا رَسُول الله نَكُونُ عِنْدكَ تذكِّرُنَا بالنَّارِ وَالجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رَأْي عَينٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاد وَالضَّيعَات نَسِينَا كَثيرًا. فقَال رَسُول الله ﷺ: وَالذي نَفْسِي بيدهِ لوْ تدومُونَ على مَا تكُونُونَ عِنْدي وَفِي الذكْرِ، لصَافَحَتكُمُ المَلائِكَةُ على فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلكِنْ يا حَنْظَلةُ سَاعَةً وَسَاعَة) [٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٤٩ بتصرف.

(٢) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ٤/٢١٠٦ (٢٧٥٠)، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٦٦ (٢٥١٤)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٩٤٨).

ومعنى ساعة وساعة أي يتقلب في تلك الأوقات بين منازل اليقين، فتارة في علم اليقين ليتابع حياته في البيع والشراء، وابتلاء الله ﷻ له بالسراء والضراء، وتارة في عين اليقين ينظر إلى ملكوت السماوات، ويعتبر بما فيها من حكم وآيات، وتارة في الذكر والصلاة يشعر بلذة القرب في الطاعة والمناجاة.

وليس كما يفسرها بعض العوام فيقولون: ساعة لقلبك، وساعة لربك. ويقصدون بذلك التنوع بين ساعة للعصيان، وساعة للطاعة والإيمان، وهذا باطل؛ لأن اليقين يرفع مقام المؤمنين، فمن ثمراته أن القلب إذا استيقن ما أخبر الله ﷻ به من كرامة لأوليائه، ومهانة لأعدائه، نظر إلى ذلك كحقيقة مرئية من وراء حجاب، إذا زال ذلك الحجاب رأى تلك الحقائق عيانا، وعندها تزول عنه الوحشة التي يجدها المتخلفون، ويلين له ما استوعره المترفون [١].

- **سادسا: مرتبة حق اليقين.**

وأما الدرجة الثالثة لليقين فهي مرتبة حق اليقين، وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام، فعلم اليقين كعلمك بوجود العسل، وعين اليقين رؤيتك له بالبصر، رؤية تحملق فيه العينان، وحق اليقين إحساسك بمذاقه على اللسان.

وقد روى النسائي وصححه الشيخ الألباني من حديث عائشة رضي

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٤٩ بتصرف .

الله عنها أن النبي ﷺ قال: (يا أُمَّةَ مُحَمَّد، وَاللهِ لوْ تعْلمُونَ مَا أَعْلمُ، لضَحِكْتمْ قَليلا، ولَبكَيتمْ كَثيرًا) (١).

وفي رواية: (وَمَا تلذذتمْ بالنِّسَاءِ على الفُرُشَات، وَلخَرَجْتمْ إلى الصُّعُدات تجْأَرُونَ إلى اللهِ) (٢).

وقد ذكر الله مرتبة حق اليقين في القرآن في سورتين من أسماء يوم القيامة، وهما الواقعة والحاقة، فقال في سورة الواقعة: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ الواقعة:٧٥/٧٦. قسم عظيم يعلم قدره المتخصصون في النجوم، فإنهم يقولون: إن ما نراه في السماء من نجوم هي في حقيقتها مواقع للنجوم. أما النجوم فقد ذهبت في مساراتها، وتحركت في مداراتها، فنظرا لعظم المسافات بيننا وبين وبينها فإننا لا نرى النجوم أبدا، ولكننا نرى مواقع مرت بها، فحينما ينبثق الضوء بسرعته من النجم إلى أن يصل إلينا يكون النجم قد تحرك من موقعه، وذهب عن موضعه، ليس هذا وفقط، بل إن الضوء كما

(١) رواه البخاري في الكسوف، باب الصدقة في الكسوف ٣٥٤/١ (٩٩٧)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٦١٨/٢ (٩٠١)، والنسائي في كتاب كسوف الشمس والقمر، باب نوع من صلاة الكسوف ٥٧١/١ (١٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) جزء من حديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء ١٤٠٢/٢ (٤١٩٠)، وأحمد في المسند ١٧٣/٥ (٢١٥٥٥) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، وحسنه الألباني، انظر: المشكاة (٥٣٤٧)، والسلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

ذكر العلماء ينحني في صفحة السماء، فحينما يصل إلينا منحنيا يراه البصر موقعا وهميا غير الموقع الحقيقي للنجم، ولذلك أقسم الله بالنجوم ليبين عجزنا، ويثبت صدق القرآن بأنواع البيان فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ الواقعة:٧٧/٧٩.

قال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، أما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وليس هو كما يزعمون أنه سحر مبين، أو شعر على بحر متين، أو كهانة تنزلت بها الشياطين، بل هو الحق الذي أنزله رب العالمين.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ الواقعة: ٨١/٩٥.

وليس بعد مرتبة حق اليقين إلا الخشوع التام وتسبيح الموحدين الموقنين فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ الواقعة:٩٦.

وعلى المنهج ذاته في آيات سورة الواقعة جاءت آيات سورة الحاقة فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١)﴾ الحاقة:٣٨/٥١.

- **منهج الصحابة والتابعين في فهم القرآن والسنة.**

حقيقة الإسلام في القرون الفاضلة قبل قيام الفرق والمذاهب كانت ممثلة في تصديق الصحابة ﷺ لخبر الله وتنفيذ أمره، فتصديق الخبر هو معنى الإيمان، وتنفيذ الأمر هو معنى الإسلام.

وهذا المنهج يعتبر منهجا إيمانيا فطريا مبنيا على الفهم الدقيق لحقيقة الإسلام والإيمان، فهم كانوا ﷺ يصدقون خبر الله ورسوله ﷺ تصديقا جازما ينفي الوهم والشك والظن. وكانوا ينفذون الأمر تنفيذا كاملا يقوم على الطاعة والإخلاص والحب، بحيث تنسجم فطرتهم النقية مع توجيه النصوص القرآنية والنبوية .

ذلك المبدأ، أعني مبدأ تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، بعيدا عن الفلسفات العقلية والآراء الكلامية التي أحدثتها مختلف الفرق الإسلامية، هو غاية من جاء بعدهم، وسلك دربهم في مختلف العصور، مهما تنوعت كلماته، أو بدت اعتقاداته في توحيد الله ﷻ، والعمل بأحكامه.

كان المسلم في عصر خير القرون عندما يشهد ألا إله إلا الله؛ فإنه يكون قد عقد في نفسه عقدا أن الله ﷻ هو المعبود الحق الذي يصدق في خبره دون تكذيب، والذي يطاع في أمره دون عصيان، وتلك

حقيقة الإيمان التي نزل بها القرآن، وفهمها أصحاب اللسان.

وقد بين ابن القيم رحمه الله أن أساس التوحيد والهداية التي منَّ الله ﷻ بها على عباده، يقوم على تصديق خبر الله ﷻ من غير اعتراض شبهة، وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة، ثم يقول: (وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان، وهما تصديق الخبر، وطاعة الأمر) [(١)].

ولما كان الصحابة ﷺ هم أهل الفصاحة واللسان، وقد خاطبهم الله ﷻ بنوعي الكلام في القرآن؛ فإن منهجهم في مسائل التوحيد والإيمان هو تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، فلو أخبرهم الله عن شيء صدقوه تصديقا جازما يبلغ حد اليقين.

وهذا ما عرف لاحقا عند المتمسكين بمنهج السلف الصالح بتوحيد العلم والخبر، أو توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أو غير ذلك من مسميات واصطلاحات، تتنوع في دلالتها وتتكامل في بيان حقيقتها، ولا تتضارب في معانيها.

ولو أمر الرسول ﷺ صحابته ﷺ بشيء نفذوه تنفيذا كاملا بالقلب واللسان والجوارح. وهو ما عرف لاحقا بتوحيد العبادة، أو توحيد الإلوهية، أو توحيد القصد والطلب؛ لأن غاية التوحيد العظمى، وطريقة السلف المثلى، التي جاهدوا المخالفين لإلزامهم بها، أن يثبتوا لله ﷻ ما أثبته الله ﷻ لنفسه بتصديق خبره، وأن يطيعوا الله ﷻ فيما أمر به على

(١) مفتاح دار السعادة ١/٤٠.

لسان نبيه ﷺ .

وقد أجمع الصحابة ﷺ إجماعا سكوتيا دون مخالف، أن يصدقوا خبر ربهم وبلاغ نبيهم، وأن ينفذوا أمر معبودهم عن خضوع وتسليم، ومحبة وتعظيم، ولم يكن بينهم من دان بغير ذلك، ومن شك في ذلك فما قدرهم حق قدرهم، وما أدرك حقيقة إيمانهم وإسلامهم فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله باب قال فيه: (باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قرآنا عربيا، بلسان عربي مبين) [(١)].

ويذكر أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) أن حقيقة الإيمان والتوحيد تكمن في تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر، لأن الخبر هو القول الذي يدخله الصدق والكذب، والأمر والنهي كل واحد منهما، قول يتردد بين أن يطاع قائله وبين أن يعصي. فمن سمع خبرا واعتقد أنه حق وصدق به، فقد آمن به، ومن سمع أمرا أو نهيا فاعتقد الطاعة له، فكأنما آمن في نفسه به.. فالإيمان بالله ﷻ إثباته، والاعتراف بوجوده، والإيمان له، والقبول عنه، والطاعة له) [(٢)].

قال ابن تيمية: (وأما الدين فجماعه شيئان تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه، والمؤمن معه من

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب ١٩٠٦/٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٣٥/١ .

الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره، فهو من أعظم الناس نعيما بذلك، بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب. وأما طاعة الأمر فإن من كان ما يؤمر به صلاحا وعدلا ونافعا يكون تنعمه به أعظم من تنعم من يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع، وهذا من الفرق بين الحق والباطل) [(١)].

• موقف الصحابة من خبر الله ورسوله.

روى البخاري من حديث أَبي سَعِيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلا أَتى النَّبي ﷺ فَقَال: (أَخِي يشْتَكِي بطْنَهُ؟ فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتى الثانِيةَ فقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتاهُ الثالثةَ، فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، ثمَّ أَتاهُ فَقَال: قَد فعَلت، فَقَال: صَدقَ اللهُ، وَكَذب بطْنُ أَخِيكَ اسْقِهِ عَسَلا، فَسَقَاهُ فَبرَأ) [(٢)] .

وفي رواية: (جَاءَ رَجُل إِلى النَّبي ﷺ فَقَال: إِنَّ أَخِي اسْتطْلَقَ بطْنُهُ فَقَال: اسْقِهِ عَسَلا، فَسَقَاهُ، فَقَال: إِنِّي سَقَيتهُ فَلَمْ يزِدهُ إِلا اسْتطْلاقًا، فَقَال: صَدقَ اللهُ وَكَذب بطْنُ أَخِيكَ) [(٣)].

والرسول ﷺ يعني التصديق بقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل:٦٩.

بل كان رسول الله ﷺ يذكر في فضل أبي بكر وعمر رضي الله

---

(١) قاعدة في المحبة ص١٥٥.

(٢) رواه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل ٥/٢١٥٢ (٥٣٦٠).

(٣) السابق، باب دواء المبطون ٥/٢١٦١ (٥٣٨٦) .

عنهما أنهما يؤمنان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ثقة منه فيهما، كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ أنه قال: (صَلى رَسُول اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبحِ، ثمَّ أَقْبل عَلى النَّاسِ فَقَال: بينَا رَجُل يسُوقُ بقَرَةً، إذ رَكِبهَا فَضَرَبهَا، فَقَالت: إنَّا لمْ نُخْلقْ لهَذا، إنَّمَا خُلقْنَا للحَرْث. فَقَال النَّاسُ: سُبحَانَ اللهِ، بقَرَةٌ تكَلمُ؟ فَقَال: فَإنِّي أُومِنُ بهَذا، أنَا وَأَبو بكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثمَّ؟ وَبينَمَا رَجُل فِي غَنَمِهِ إذ عَدا الذئْب، فَذهَب مِنْهَا بشَاةٍ، فَطَلب حَتى كَأَنَّهُ اسْتنْقَذهَا مِنْهُ، فَقَال لهُ الذئْب: هَذا اسْتنْقَذتهَا مِنِّي، فَمَنْ لهَا يوْمَ السَّبعِ، يوْمَ لا رَاعِي لهَا غَيري، فَقَال النَّاسُ: سُبحَانَ اللهِ ذئْب يتكَلمُ؟ قَال: فَإنِّي أُومِنُ بهَذا أَنَا وَأَبو بكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثمَّ) (١).

وعند ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني من حديث أَبي هُرَيرَةَ ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: (إنَّ المَيت يصِيرُ إلى القَبرِ، فَيجْلسُ الرَّجُل الصَّالحُ فِي قَبرِهِ غَيرَ فَزِعٍ وَلا مَشْعُوفٍ، ثمَّ يقَال لهُ: فِيمَ كُنْت؟ فَيقُول: كُنْت فِي الإسْلامِ، فَيقَال لهُ: مَا هَذا الرَّجُل؟ فَيقُول: مُحَمَّد رَسُول اللهِ ﷺ، جَاءَنَا بالبينَات مِنْ عِنْد اللهِ فَصَدقْنَاهُ، فَيقَال لهُ: هَل رَأَيت اللهَ؟ فَيقُول: مَا ينْبغِي لأَحَد أَنْ يرَى اللهَ، فَيفْرَجُ لهُ فُرْجَةٌ قِبل النَّارِ، فَينْظُرُ إليهَا يحْطِمُ بعْضُهَا بعْضًا، فَيقَال لهُ: انْظُرْ إلى مَا وَقَاكَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ٣/١٢٨٠ (٣٢٨٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٧ (٢٣٨٨) .

اللهُ، ثمَّ يفْرَجُ لهُ قِبل الجنَّةِ، فَينْظُرُ إلى زَهْرَتها وَمَا فِيهَا، فَيقَال لهُ: هَذا مَقْعَدكَ. وَيقَال لهُ: عَلى اليقِينِ كُنْت، وَعَليهِ مُت، وَعَليهِ تبعَث إنْ شَاءَ اللهُ. وَيجْلسُ الرَّجُل السُّوءُ فِي قَبرِهِ فزِعًا مَشْعُوفًا، فيقَال لهُ: فِيمَ كُنْت؟ فَيقُول لا أَدري، فَيقَال لهُ: مَا هَذا الرَّجُل؟ فَيقُول: سَمِعْت النَّاسَ يقُولونَ قَوْلا فَقُلته، فَيفْرَجُ لهُ قِبل الجَنَّةِ، فَينْظُرُ إلى زَهْرَتها وَمَا فِيهَا، فَيقَال لهُ: انْظُرْ إلى مَا صرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثمَّ يفْرَجُ لهُ فُرْجَةٌ قِبل النَّارِ، فَينْظُرُ إليهَا يحْطِمُ بعْضُهَا بعْضًا، فَيقَال لهُ: هَذا مَقْعَدكَ عَلى الشَّكّ كُنْت، وَعَليهِ مُت، وَعَليهِ تبعَث إنْ شَاءَ اللهُ تعَالى) [١].

• موقفهم الصحابة في باب الأمر والطلب.

وكما صدق الصحابة ﷺ نبيهم في كل ما أخبرهم عن الله ﷻ، فآمنوا بتوحيد العلم والخبر، فإنهم أيضا أطاعوه في كل ما أمر، وكانوا يبايعونه على ذلك.

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث جَرِيرِ بنِ عَبد ِاللهِ ﷺ أنه قال: (بايعْت النَّبي ﷺ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلقَّنَنِي فقال: فِيمَا اسْتطَعْت، وَالنُّصْحِ لكُل مُسْلمٍ) [٢].

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى ٢/١٤٢٦ (٤٢٦٨)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني، كتاب الإيمان، باب إثبات عذاب القبر (١٣٩).

(٢) رواه البخاري في الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ٦/٢٦٣٤ (٦٧٧٨)، ومسلم في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ١/٧٥ (٥٦).

وعنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (عَلى المَرْءِ المُسْلمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَب وَكَرِهَ، إلا أَنْ يؤْمَرَ بمَعْصِيةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بمَعْصِيةٍ، فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ) [١].

وروى البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: (بايعْنَا رَسُول اللهِ ﷺ عَلى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي العُسْرِ وَاليسْرِ وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلى أَثرَةٍ عَلينَا، وَعَلى أَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلهُ، وَعَلى أَنْ نَقُول بالحَقِّ أَينَمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللهِ لوْمَةَ لائِمٍ) [٢].

وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في موقفه من طاعة الله ورسوله مع ما ألم به من الجوع وشدته، وأمر النبي ﷺ بدعوته أهل الصفة فقال رضي الله عنه: (أَاللهِ الذي لا إِلهَ إِلا هُوَ إِنْ كُنْت لأَعْتمِد بكَبدي عَلى الأَرْضِ مِنْ الجُوعِ. وَإِنْ كُنْت لأَشُد الحَجَرَ عَلى بطْنِي مِنْ الجُوعِ. وَلقَد قَعَدت يوْمًا عَلى طَرِيقِهِمْ الذي يخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبو بكْرٍ، فَسَأَلتهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتاب اللهِ، مَا سَأَلتهُ إلا ليشْبعَنِي، فَمَرَّ وَلمْ يفْعَل، ثمَّ مَرَّ بي عُمَرُ، فَسَأَلتهُ عَنْ آيةٍ مِنْ كِتاب اللهِ، مَا سَأَلتهُ إِلا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٢٦١٢/٦ (٦٧٢٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ (١٨٣٩) واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ٢٦٣٣/٦ (٦٧٧٤) ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٧٠/٣(١٧٠٩).

ليشْبعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يفْعَل. ثمَّ مَرَّ بي أَبو القَاسِمِ ﷺ، فَتبسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثمَّ قَال: يا أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: الحَقْ، وَمَضَى فَتبعْتهُ، فَدخَل فَاستَأْذنَ، فَأَذنَ لي، فَدخَل فَوَجَد لبنًا فِي قَدحٍ، فَقَال: مِنْ أَينَ هَذا اللبنُ؟ قَالوا: أَهْداهُ لكَ فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ، قَال: أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: الحَقْ إِلى أَهْل الصُّفَّةِ فَادعُهُمْ لي.

قَال: وَأَهْل الصُّفَّةِ أَضْيافُ الإِسْلامِ، لا يأْوُونَ إِلى أَهْل وَلا مَال، وَلا عَلى أَحَد، إِذا أَتتهُ صَدقَةٌ بعَث بهَا إِليهِمْ، وَلَمْ يتنَاوَل مِنْهَا شَيئًا، وَإِذا أَتتهُ هَديةٌ أَرْسَل إِليهِمْ، وأصاب مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءَنِي ذلكَ فَقُلت: وَمَا هَذا اللبنُ فِي أَهْل الصُّفَّةِ، كُنْت أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيب مِنْ هَذا اللبنِ شَرْبَةً أَتقَوَّى بهَا، فَإِذا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْت أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يبلغَنِي مِنْ هَذا اللبنِ، وَلَمْ يكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولهِ ﷺ بد. فَأَتيتهُمْ فَدعَوْتهُمْ، فَأَقْبلوا، فَاستَأْذنُوا، فَأَذنَ لهُمْ، وَأَخَذوا مَجَالسَهُمْ مِنْ البيت، قَال: يا أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: خُذ فَأَعْطِهِمْ، قَال: فَأَخَذت القَدحَ، فَجَعَلت أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثمَّ يرُد عَلي القَدحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُل فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثمَّ يرُد عَلي القَدحَ فَيشْرَب حَتى يرْوَى، ثمَّ يرُد عَلي القَدحَ حَتى انْتهَيت إِلى النَّبي ﷺ وَقَد رَوِي القَوْمُ كُلهُمْ، فَأَخَذ القَدحَ فَوَضَعَهُ عَلى يدهِ، فَنَظَرَ إِلي فَتبسَّمَ، فَقَال: أَبا هِرٍّ، قُلت: لبيكَ يا رَسُول اللهِ، قَال: بقِيت أَنَا وَأَنْت، قُلت: صَدقْت يا رَسُول اللهِ، قَال:

اقْعُد فَاشْرَب، فَقَعَدت فَشَرِبت، فَقَال: اشْرَب فَشَرِبت، فَمَا زَال يقُول اشْرَب حَتى قُلت: لا وَالذي بعَثكَ بالحَقِّ، مَا أَجِد لهُ مَسْلكًا، قَال: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيتهُ القَدحَ، فَحَمِد اللهَ وَسَمَّى وَشَرِب الفَضْلَةَ) [١].

وروي الإمام مالك عَنِ ابنِ أَبي مُليكَةَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ مَرَّ بامْرَأَةٍ مَجْذومَةٍ وَهِي تطُوفُ بالبيت فَقَال لهَا: يا أَمَةَ اللهِ لا تؤْذي النَّاسَ، لوْ جَلسْت فِي بيتكِ فَجَلسَت؟ فَمَرَّ بهَا رَجُل بعْد ذلكَ فَقَال لهَا: إنَّ الذي كَانَ قَد نَهَاكِ قَد مَات، فَاخْرُجِي، فَقَالت: مَا كُنْت لأُطِيعَهُ حيا، وأَعْصِيه مَيتا [٢].

وقد بين جعفر بن أبي طالب ﷺ لملك الحبشة موقف الصحابة ﷺ مما جاء به النبي ﷺ من التوحيد، سواء في باب الأخبار، أو في باب الأوامر. فمن حديث أُم سَلمَةَ رضي الله عنها أن جَعْفر بن أَبي طَالب ﷺ كلم النجاشي فقال له:

(أَيهَا المَلكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْل جَاهِليةٍ، نَعْبد الأَصْنَام، وَنَأْكُل المَيتةَ، وَنَأْتي الفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ، يأْكُل القَوي مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا على ذلكَ حتى بعَث اللهُ إلينَا رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبهُ، وَصِدقَهُ، وَأَمَانَتهُ، وَعَفَافَهُ، فَدعَانَا إلى اللهِ لنُوَحِّدهُ وَنَعْبدهُ، وَنَخْلعَ مَا كُنَّا نَعْبد

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج ١/٤٢٤ (٩٥٠).

نَحْنُ وَآباؤُنَا مِنْ دونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثان، وَأَمَرَنَا بصِدقِ الحَدِيث، وَأَداءِ الأَمَانَةِ، وَصِلةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَار، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَوْل الزُّورِ، وَأَكْل مَال اليتيمِ، وَقَذفِ المُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبد اللهَ وَحْدهُ، لا نُشْرِكُ بهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيام، وعَدد عَليهِ أُمُورَ الإِسْلامِ، فَصَدقْنَاهُ وَآمَنَّا بهِ، وَاتبعْنَاهُ على مَا جَاءَ بهِ، فَعَبدنَا اللهَ وَحْدهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلينَا، وَأَحْللنَا مَا أَحَل لنَا، فَعَدا عَلينَا قَوْمُنَا، فَعَذبونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ليرُدونَا إلى عِبادةِ الأَوْثان مِنْ عِبادةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتحِل مَا كُنَّا نَسْتحِل مِنَ الخَبائِث، فَلمَّا قَهَرُونَا وَظَلمُونَا وَشَقُّوا عَلينَا، وَحَالوا بيننَا وَبينَ دِيننَا، خَرَجْنَا إلى بلدكَ، وَاخْتَرْنَاكَ على مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدكَ) [(١)].

وقول جعفر ﷺ فَصَدقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتبعْنَاهُ على مَا جَاءَ بهِ، يتبدي منه بوضوح ركنان، أحدهما يتعلق بتصديق الأخبار، والآخر يتعلق بالطاعة وتنفيذ الأمر.

وقد قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور:٦٣.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/٢٩٠ (٢٢٥٥١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في فقه السيرة ص١١٥.

• الإيمان في باب الأخبار له ستة أركان.

الإيمان في باب الأخبار له ستة أركان وردت في حديث عمر ين الخطاب ﷺ حيث قال: (بينَمَا نَحْنُ عِنْد رَسُول اللهِ ﷺ ذات يوْمٍ، إذ طَلَعَ عَلينَا رَجُل، شَديد بياضِ الثياب، شَديد سَوَاد الشَّعَرِ، لاَ يرَى عَليهِ أَثرُ السَّفَرِ، وَلاَ يعْرِفُهُ مِنَّا أَحَد، حَتى جَلسَ إلى النَّبي ﷺ فَأَسْنَد رُكْبتيهِ إلى رُكْبتيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلى فَخِذيهِ، وَقَال: يا مُحَمَّد أَخبرْني عَنِ الإسْلامِ؟ فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: الإِسْلاَمُ أَنْ تشْهَد أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُول اللهِ، وَتقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتؤْتىَ الزَّكَاةَ، وَتصُومَ رَمَضَانَ، وَتحُجَّ البيت إن اسْتطَعْت إليهِ سَبيلاً. قَال: صَدقْت. قَال: فَعَجِبنَا لهُ يسْأَلهُ وَيصَدقُهُ. قَال: فَأَخبرْني عَنِ الإيمان؟ قَال: أَنْ تؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكتهِ وَكُتبهِ وَرُسُلهِ وَاليوْمِ الآخِرِ وَتؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، قَال جبريل: صَدقْت) [١].

هذه ستة أركان للإيمان تتعلق بتصديق الأخبار، وما جاء في القرآن والسنة عن عالم الغيب. وهي تمثل توحيد العلم والخبر، أو المعرفة والإثبات، أو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وقد أخبرنا الله في كثير من النصوص عن الأسماء والصفات التي عرفنا فيها بنفسه، وأبان لنا عن وصفه، وكل ذلك من الغيبيات التي تتطلب التصديق بشرط اليقين، وأخبرنا عن ملائكته وخلقتهم ووصفهم

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦ (٨).

وفعلهم، ودورهم الذي يتعلق بالإنسان، وذلك يتطلب منا الإيمان بهم، وكذلك أخبرنا عن كتبه ورسله، ما علمنا منهم وما لم نعلم، وليس لنا إلا الإيمان بهم والتصديق بوجودهم، وأخبرنا عن اليوم الأخر، وما فيه من أحوال وأهوال، وتلك الأخبار تتطلب التصديق أيضا، وأخبرنا عن القدر خيره وشره، وحلوه ومره، وأنه فعل الله للابتلاء وترتيب الجزاء، وهذه أخبار عن الله تتطلب التصديق وعلم اليقين.

وبنظرة عميقة نجد أن الترتيب النبوي لأركان الإيمان اشتمل على دور الإنسان في الحياة، وارتباطه بتقدير الله ﷻ، فالمعنى الموضوع بين أركان الإيمان، أن تؤمن بالله الذي أنزل ملائكته بكتبه على رسله ليحذروا العباد من اليوم الآخر، فإذا انتهى الناس بعد العرض والحساب، واستقروا في الآخرة للثواب والعقاب، عندها يكون المصير مطابقا لسابق التقدير الذي دون في أم الكتاب، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. فأركان الإيمان في باب الأخبار أَنْ تؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتهِ، وَكُتبهِ، وَرُسُلهِ، وَاليوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّه، ولا يكون الإيمان بهذه الأركان إلا باليقين الذي لا شك فيه، وهو التصديق الجازم الذي لا تكذيب فيه.

- **الإيمان في باب الأمر له ثلاثة أركان:**

وكما أن الإيمان له في باب الأخبار ستة أركان، كذلك له ثلاثة أركان في باب الأوامر، وهي تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح، وهي تتعلق بتنفيذ الأمر وتحقيق المطلوب، والسعي في رضا

المحبوب، وهذا توحيد العبودية لله ﷻ، أو توحيد القصد والطلب.

قال ابن القيم: (رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة، واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح) [1].

وهذا الكلام من أدق وأشمل ما قيل في توحيد العبودية، لأن أركان الإيمان الأساسية باعتبار تنفيذ أحكام العبودية عند السلف ثلاثة أركان، وهي تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان [2].

قال العلامة ابن منده (ت:٣٩٥هـ): (الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص) [3].

وكل واحد من هذه الأركان يستقل بتنفيذ أحكام العبودية بأنواعها الخمسة التي تقدمت، وقد يشترك القلب مع اللسان فقط في تنفيذ حكم واحد، أو يشترك القلب مع الجوارح، أو يشترك القلب واللسان والجوارح جميعا في تحقيق أحكام العبودية.

والقصد أنه إذا تم هذا الإيمان بنوعيه المتعلقين بتصديق الخبر وتنفيذ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/١٠٩.

(٢) انظر الاستذكار لابن عبد البر ٣/١٠٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٨.

(٣) الإيمان لابن منده ١/٣٤١.

الأمر، ظهر كمال الدين وصدق اليقين، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (اليقين الإيمان كله) [١].

من أجل ذلك أيضا كلف الله الإنسان بالتصديق الجازم لأركان الإيمان، وكل خبر ورد ذكره في القرآن، فقال الله تعالى في تقرير تلك المعان: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة:١/٥.

- **اليقين المنافي للشك شرط من شروط لا إله إلا الله.**

يلزم كل من شهد ألا إله إلا الله أن يكون مستيقنا بمدلولها، قد أيقن بها في قلبه يقينا جازما ينفي الوهم والشك والظن.

كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥ ﴾ الحجرات:١٥.

فاشترط في صدق إيمانهم بالله وسوله ﷺ ألا يرتابوا، أي لا يشكوا، فالمرتابون هم المنافقون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ

---

(١) رواه الإمام البخاري معلقا في كتاب الإيمان ١/٧، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/١٢٣ (٩٧١٦).

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة:٤٥.

قال ابن جرير في معنى قوله تعالى لم يرتابوا: (ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله، بغير شك منه في وجوب ذلك عليه) (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث أَسْمَاء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قَال: (أُوحِي إلي أَنَّكُمْ تفتْنُونَ فِي قُبورِكُمْ مِثل فِتنَةِ المَسِيحِ الدجَّال، يقَال للميت: مَا عِلمُكَ بهَذا الرَّجُل؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ فَيقُول: هُوَ مُحَمَّد رَسُول الله، جَاءَنَا بالبينَات وَالهُدي، فَأَجَبنَا وَاتبعْنَا، هُوَ مُحَمَّد، ثلاثا، فَيقَال: نَمْ صَالحًا. قَد عَلمْنَا إِنْ كُنْت لُموقِنًا بهِ، وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتاب فَيقُول: لا أَدرِي سَمِعْت النَّاسَ يقُولونَ شَيَئًا فَقُلتهُ) (٢).

وروى مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ أنه قال: (كُنَّا قُعُودا حَوْل رَسُول الله ﷺ، مَعَنَا أَبو بكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ من الصحابة. فَقَامَ رَسُول الله ﷺ مِنْ بين أَظْهُرِنَا، فَأَبطَأَ عَلينَا وَخَشِينَا أَنْ يقْتطَعَ دونَنَا، وَفَزعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْت أَوَّل مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْت أَبتغِي رَسُولَ الله ﷺ، حتى أَتَيت حَائِطًا للأَنْصَارِ لبنِي النَّجَّارِ ، فَدرْت بهِ، هَل أَجِد لهُ بابا؟ فَلمْ أَجِد، فَإِذا

---

(١) تفسير الطبري ١١/٤٠٢.

(٢) البخاري في العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/٤٤ (٨٦).

رَبيعٌ يدخُل فِي جَوْفِ الحَائِطِ مِنْ بئْرٍ خَارِجَةٍ [١]، فَاحْتفَزْت كَمَا يَحْتفِزُ الثعْلب. فَدخَلت على رَسُول الله ﷺ فَقَال: أَبو هُرَيرَةَ؟ فَقُلت: نَعَمْ يا رَسُول الله، قَال: مَا شَأْنكَ؟ قُلت: كُنْت بينَ أَظْهُرِنَا، فقُمْت فَأَبطَأْت عَلينَا، فَخَشِينَا أَنْ تقْتطَعَ دونَنَا، فَفَزِعْنَا، فكُنْت أَوَّل مِنْ فَزِعَ، فَأَتيت هَذا الحَائِطَ فَاحْتفَزْت كَمَا يَحْتفِزُ الثعْلب، وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فقَال: يا أَبا هُرَيرَةَ، وَأَعْطَانِي نَعْليهِ، قَال: اذهَب بنَعلي هَاتين، فَمَنْ لقِيت مِنْ وَرَاءِ هَذا الحَائِطِ يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ فَبشِّرْهُ بالجَنَّةِ. فَكَانَ أَوَّل مَنْ لقِيت عُمَر بن الخطاب، فقَال: مَا هَاتان النَّعْلان يا أَبا هُرَيرَةَ؟ فَقُلت: هَاتان نَعْلا رَسُول الله ﷺ بعَثنِي بهمَا، مَنْ لقِيت يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ بشَّرْتهُ بالجَنَّةِ، فَضَرَب عُمَرُ بيدهِ بينَ ثديي، فَخَرَرْت لإِسْتي [٢]، فقَال: ارْجِعْ يا أَبا هُرَيرَةَ، فَرَجَعْت إلى رَسُول الله ﷺ فَأَجْهَشْت بكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ [٣]، فَإذا هُوَ على أَثري، فقَال لي رَسُول الله ﷺ: مَا لكَ يا أَبا هُرَيرَةَ؟

قُلت: لقِيت عُمَرَ فَأَخبَرْتهُ بالذي بعَثتنِي بهِ، فَضَرَب بينَ ثديي ضَرْبةً خَرَرْت لإِسْتي، قَال: ارْجِعْ، فَقَال لهُ رَسُول الله: يا عُمَرُ، مَا حَمَلكَ على مَا فَعَلت؟ قَال: يا رَسُول الله، بأَبي أَنْت وَأُمِّي، أَبعَثت أَبا هُرَيرَةَ بنَعْليكَ، مَنْ لقِي يشْهَد أَنْ لا إِلهَ إِلا الله مُسْتيقِنًا بهَا قَلبهُ بشَّرَهُ بالجَنَّةِ؟

---

(١) الحائط هو السور المقام حول المزرعة ، والرَّبيع هو الجدول أو قناة الماء الصغيرة.

(٢) يعني وقع على مقعدته من شدة الدفع.

(٣) يعني تبعه عمر ﷺ في المسير وأدركه عند النبي ﷺ لحظة وصوله.

قَال: نَعَمْ، قَال: فَلا تفْعَل، فَإِنِّي أَخْشَي أَنْ يتكِل النَّاسُ عَليهَا، فَخَلهِمْ يعْمَلونَ، قَال رَسُول اللهِ ﷺ: فَخَلهِمْ) (١).

والشاهد من الحديث أن من شهد بشهادة التوحيد عن يقين في قبله بأنه على استعداد لتصديق خبر الله وتنفيذ أمره دخل الجنة.

• ما معنى الإيمان في حديث سفيان؟

وقد كان إرشاد النبي ﷺ لأصحابه ﷺ يهدف إلى تأسيس عقيدة التسليم للوحي والإيمان به دون نزاع، وأن صلاحهم يكمن في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ أنه قال: (قُلت: يا رَسُول اللهِ، قُل لي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَل عَنْهُ أَحَدا بعْدكَ؟ وَفِي حَديث أَبِى أُسَامَةَ، غَيرَكَ، قَال: قُل آمَنْت باللهِ فَاستْقِمْ) (٢).

وأصل الاستقامة الاعتدال على الطريق الذي رسمه النبي ﷺ لأصحابه في خط مستقيم. ولا يكون الاعتدال إلا بشمولية الإيمان بكل ما ورد عن الله ورسوله ﷺ من أخبار، والتسليم لكل ما جاء عنهما من تشريعات وأوامر؛ فإن التقصير في جانب سيؤدي إلى المبالغة أو الانحراف في جانب آخر.

---

(١) مسلم في الإيمان، باب أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/٥٩ (٣١).

(٢) السابق، باب جامع أوصاف الإسلام ١/٦٥ (٣٨).

روى الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (خَطَّ لنَا رَسُول اللهِ ﷺ خَطًّا ثمَّ قَال: هَذا سَبيل اللهِ، ثمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يمينِهِ وَعَنْ شِمَالهِ، ثمَّ قَال: هَذهِ سُبل عَلى كُل سَبيل مِنْهَا شَيطَانٌ يدعُو إليهِ، ثمَّ قَرأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ الأنعام:١٥٣) [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات. والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة، الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض، نفيا وإثباتا.

والإنسان يجد في نفسه الفرق بين النفي والإثبات، والتصديق والتكذيب، وبين الحب والبغض، والحض والمنع، حتى إن الفرق بين هذا النوع وبين النوع الآخر، معروف عند العامة والخاصة، ومعروف عند أصناف المتكلمين في العلم، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الأيْمان، وكما ذكره المقسمون للكلام من أهل النظر والنحو والبيان، فذكروا أن الكلام نوعان: خبر وإنشاء، والخبر دائر بين النفي والإثبات، والإنشاء أمر أو نهى أو إباحة.

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/٤٣٥ (٤١٤٢)، والنسائي في سننه في كتاب التفسير، سورة الأنعام ٦/٣٤٣ (١١١٧٤)، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٦٦).

وإذا كان كذلك، فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفى عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال، ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل، وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل.

والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول، كما دل على ذلك سورة قل هو الله أحد، ودل على الآخر سورة قل يا أيها الكافرون، وهما سورتا الإخلاص، وبهما كان النبي ﷺ يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر، وركعتي الطواف، وغير ذلك) [(١)].

وقد ظل أمر السلف الصالح في القرون الفاضلة على نهج الوسطية والاعتدال والشمولية، يسيرون بفضل الله على درب نبيهم، يلتزمون بالسنة لا يقصرون فيها، ولا يهونون منها، ويحذرون من البدعة وينبهون على خطورتها.

وقد كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ ثم يبلغه ويبينه لهم، وهم يتلقونه بالقبول، ويفهمونه ويؤمنون به، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تردد أو استشكل شيئا من ذلك.

---

(١) مقدمة الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٠.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: (ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة، حتى قبض ﷺ، كلهن في القرآن، يسألونك عن المحيض. ويسألونك عن الشهر الحرام. ويسألونك عن اليتامى. ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم) [(١)].

وقد ظلت أمور العقيدة على هذا الحال، صافية نقية، وأبناء الأمة الإسلامية يؤدون حقيقة العبودية التي أرادها الله ﷻ منهم، يطبقون المناهج المثلى، والنظم العليا لقيادة الإنسان الذي استخلف الله ﷻ في أرضه واستأمنه في ملكه، حتى ظهر أثر الحاقدين في التشويش على عقيدة المؤمنين، وبرز فكر الجاهلين الذين يقدمون آراءهم وأهواءهم على كل نص قرآني أو حديث نبوي، فكان من أبرزهم في التاريخ الإسلامي، عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أسهم في تفرق الأمة الإسلامية، وكان سببا مباشرا في ظهور الشيعة والخوارج، كأبرز فرقتين ضالتين بين الطوائف الإسلامية .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٤٠.